DIJIS NSUK
ISLAMIC STUDIES

Ad-Dirãyah

International Journal of Islamic Studies (DIJIS)

Vol. 4. No. 4 September, 2015 ISSN: 2350-1987

Department of Islamic Studies
Nasarawa State University, P. M. B. 1022,
Keffi, Nasarawa State, Nigeria.

CamScanner

الدِّرَايَةُ

Ad-Dirāyah

International Journal of Islamic Studies (DIJIS).

Vol. 4 No. 4, *September 2015* *ISSN: 2350-1987*

A Publication of the Department of Islamic Studies, Nasarawa State University, Keffi, Nigeria

CamScanner

CONTENTS

1- The Causes of Moral Decadence in Children: Proffering Islamic Antidote, **Assoc. Prof. Mrs. Sa'adatu Hassan Liman**..... 1

2- Wasatiyyah Deficiency: Bane of Intra and Inter-Religious Unrest in Contemporary Nigeria, **Abdulazeez Balogun SHITTU (PhD) and Olaofe Musa Adeyemi (PhD)**.....15

3- A Critical Review of the Juristic Divergences on the Validity of Qiyas as a Source of Islamic Law (Shari'ah), **Adbullahi Salihu Ishola and Olawale Solahudeen**.....35

4- The Methods of Research Employed by Ibn Jarir At-Tabari in his Qur'an Exegesis, **Abdulkadir Ayodele Sambo (Ph.D)**.....49

5- *Iblis and Human Perpetration of Evil: A Comparative Theological Discourse among Christianity, Islam and Yoruba Traditional Religions*, **Elesin 'Abdulwahāb Muhammad Jāmi'u (PhD)**.....62

6- *Problems and Prospects of Muslims in Nigeria: The Role of Jama'atil Nasrul Islam (JNI)*, **Mualimu Kambari Aminu**.....74

7- *Shariah Standards for making Legal Pronouncements in the Conventional and Electronic Media*, **Dr. Abdur-Rzaq Abdulmajid Alaro**,.....85

8- At-Tasamuhud-Dini fil-Islam, **Muhammad Jumat Dasuki**.107

9- An-Nukul fil-Yamin al-Qadai, **Dr. Ali Mindhu Uthman and Adam Abdullahi Muhammad**.....121

10- Awjuhl-Tifaq walil-Khtilaf wash-Shaba bainal-Kafir wal-Mushrik wal-Kitabi was-Sabi wal-Majusi, **Dr. Umar Ishaq Abukar Adam**.....143

11- Taharatul-Maniy wa Najasatuhu fish-Shari'ah Islamiyyah, **Dr. Muntqah al-Amin**.....155

12- *Aqidatus-Sam'u wat-Ta'ah liwulatil-Umur inda Ahlis-Sunnah wal-Jama'ah,* **Dr. Anas Muhammad Ya'qub**.....164

CamScanner

التسامح الديني في الإسلام

محمد جمعة دسوقي

الملخص

إنّ التّسامح الدّيني مطلب إنساني نبيل دعت إليه الأديان السّماوية كافة بدون استثناء، وافترضته الفطرة الإنسانية كما استوجبته النشأة الاجتماعية ومع ذلك أنّ الإسلام يتميز أكثر من غيره من الأديان الأخرى في تكريم الإنسانية أتمّ تكريم، وضرب أروع الأمثلة بتعاليمه منذ أربعة عشر قرنا وريادة في التّسامح والتّعايش الإيجابي بين الأمم والشّعوب من مختلف الحضارات والدّيانات ولا تزال هذه التّعاليم الإسلاميّة حيّة وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر في كل زمان ومكان. هذا، فإن بلادنا نيجيريا قد عرفت الإسلام واعتنقتها منذ تاريخ متواغل وخاصّة شمالها قبل ظهور المسيحية فيها في العصر الإستعمار الإنكليزي البغيض، لم يعرف فيها ما نشاهده اليوم في بعض الولايات من احتكاكات دينية وأعمال العنف والإرهاب التي تحدث من حين إلى آخر بين أصحاب الأديان المختلفة.

فهذه الورقة محاولة من الكاتب ليدرس بها مفهوم التّسامح الدّيني تحديدا لدعوة إلى العمل بمبدئه في أوساط الإنسانيّة حتّى نكون نحن المسلمون وغيرنا على وعي كامل من أهمية الموضوع. والمقالة-بمشيئةالله تعالى-تناولت الحديث بعد هذا الملخص والمقدمة حول العناصر التالية: مفهوم التسامح لغة واصطلاحا، وأهمية التسامح الديني وأنواعه، وقواعد التسامح الديني وأسسه ثم تطبيقات على التسامح الديني في الإسلام.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين. إنَّ دينَ الإسلامِ دينُ تسامحٍ وتصافحٍ وعفوٍ في تعاملِ الناس بعضهم مع بعض، وفي تعاملهم أيضًا مع مَن يخالفونهم في دينهم ومذاهبهم ومعتقداتهم لأنّ قيمة التّسامح الدّيني تتمثّل في كونه يقتضي التّسليم بأنّه

وحض النبي - صلوات الله وسلامه عليه - على التسامح، وحثه إلى المسلمين بقوله وفعله؛ قال - عليه الصلاة والسلام -: ((ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة))[1] وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أخبركم على من تحرم النار؟))، قالوا: بلى، قال: «على الهيّن اللّيّن، السّهل القريب)). 2

ولما كان موضوع التسامح بهذه الأهمية وبهذا الشأن العظيم، كانت هذه المقالة توضّح مفهوم التسامح والتصافح والعفو، و توضّح مبادئ الدين الحنيف فيه والعيش المشترك وتذكر الآيات والأحاديث الدالة عليه، ثم تبيّن قواعده وأسسه في التعامل مع الآخرين وقد طبقت بكاملها في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي فترات لاحقة وأمكنة مختلفة من الأرض التي نحيا عليها، وها نحن أولاء - اليوم - نذكر أنفسنا وإخواننا والإنسانية جمعاء بهذه القواعد لتكون ورقة عمل وبرنامج حياة لنا جميعاً، ولا سيما أن الأوضاع غدت تتطلب مثل هذا النداء بعد أن عمّت الفوضى الأرجاء، ودارت رَحى العداوة، وأنتحت دماً مسفوحاً بغير حق، وخراباً ليس له مبرر عقلي ولا ديني.

التّسامح لغة واصطلاحا ومفهوم التّسامح الدّيني

التّسامح لغة: نقيض التّشدد والتّعصب بمعنى التّساهل والتّوافق، وسامح في الأمر أو بالأمر: ساهله ولاينه ووافقه. وتسامح في كذا، تساهل فيه. والسماح والمسامحه بمعنى المساهلة والموافقة وفي الحديث: السّماح رباح أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها[3].

وأما اصطلاحا: فهو يقال على وجهين : الأوّل: الجود عن كرم وسخاء. الثاني:التّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها الّتي تتجلّى في التّيسير وعدمِ القهر، وسماحةِ المسلمين الّتي تبدُو في تعاملاتهم المختلفة، سواء مع بعضهم، أو مع غيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى. وبعبارة أخرى فهو قبول اختلاف الآخرين سواء في الدّين أو الفكر أو السّياسة.[4]

نفسها، وإذا كان هؤلاء بخصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فأولئك بخصوصية ثقافية لا تقبل النقد؛ لأن التسامح الديني يعد أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، كما يعد عامل فعّال في بناء المجتمع المدني، ومشجع على تفعيل قواعده ، لأنه لا يقوم إلا على الفهم، في أدق مستوياته المطلوبة، لجوهر الأديان، وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان. فدين الله -إذن- لم يفرق في حسن المعاملة والتسامح بين المسلمين بعضهم مع بعض، وبين من يعاشرونهم من الأديان الأخرى بل حسن المعاملة وحسن المعاشرة مع أهل الأديان الأخرى هو منهج الإسلام الذي سار عليه نبينا صلى الله عليه وسلم، والذي دعت إليه النصوص الشرعية، فلذلك حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين إلى التسامح؛ فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سلم مع المسلمين, كما كفل الحرية للذميين وأمر المسلمين أن يتركوهم وما يدينون، وألا يتعرضوا لهم في العقيدة التي يعتقدونها في آيات متعددة منها:

قوله تبارك وتعالى -: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (سورةالممتحنة: الآية 8-9).

ومنها قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (سورة البقرة:109). وقال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (سورة المائدة: 13)، وقوله تعالى: {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. ولا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ. ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (سورة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بدعوة أهل الكتاب وبرور مرضاهم طاعة لله، ولا ينهى البنت المسلمة أن تبر أمها المشركة ما دامت جاءت راغبة في الصلة غير راقعة للسلاح على المسلمين، والكافر إذا كان معاهداً أو ذمياً فلا يجوز خرق عهد الأمان معه ولا الاعتداء عليه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قتل معاهداً له ذمة الله، وذمة رسوله؛ حرم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفا))[9]

ولم يكتف القرآن بتشريع حرية التدين فحسب بل وضع جملة من الآداب لتطبيق التسامح الديني ودعا المسلمين أن يكونوا لغيرهم موضع حفاوة ومودة وبر وإحسان وقال تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبُّ المقسطين} (سورة الممتحنة: 8).

وإتساقا مع تلك الدعوة إلى حسن التعامل نرى القرآن كأدب من آداب التسامح يحذر المسلمين وينهاهم عن سبّ غيرهم وشم عقائدهم وقال تعالى: {ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبُّوا الله عدوا بغير علم} (سورة الأنعام: 108).

والواقع هو أن المرء إذا نظر إلى تلك المبادئ المتعلقة بالتسامح وحرية التدين وإلى تلك الدعوة إلى حسن التعامل التي أقرها القرآن بموضوعية لا يسعه إلا الاعتراف بأن الإسلام قد اهتم بالتسامح الديني اهتماما بالغا ووضع مباديئه في أعمق معانيه واروع صوره وابعد قيمه.

أهمية التسامح الديني في الإسلام

إن سنة الوجود قد اقتضت أن يكون وجود الناس على الأرض في شكل تجمعات بشرية وما تتفرد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وبيئية وثقافية والإسلام من جهته اعترف بوجود الغير المخالف فردا كان أو جماعة وصرّح القرآن بحقيقة هذا الوجود وقال تعالى: {يا أيُها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا". (سورة الحجرات: 13).

وأما التّسامح الدّيني الّذي كان مغزى المقالة هذه, فهو التّسامح والتّعايش والتّرابط الإيجابي بين الأديان المختلفة بمعنى ممارسة الشّعائر الدّينية والتّحلي عن التّعصب الدّين والتّمييز العنصري.[5]

ومن البديهي أن الأديان السّماوية بحكم انتمائها إلى السّماء لا تأمر إلّا بالخير والحق والاصلاح ولا يدعو إلا إلى البر والتّقوى وإلى الحب والرّحمة والإحسان ولا توصى إلا بالأمن والسّلامة، لذلك لم يكن الإسلام وحده في اشتمال على مبادئ التّسامح الدّيني، بل تدعو المسيحية واليهودية إلى نفس التّسامح في الأناجيل القديمة والحديثة في مختلف نصوصها منها:

1- ((لا تقاوموا الشّر بالشّر بل من ضرب خدك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فاعطه إزارك, ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين)).[6]

2- ((ولكن أقول لك أن تظهر الحب لأعدائك وأن تدعو بالخيرات للذين ظلموك)).[7]

3- ((من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان)).[8]

وإن دلّ هذا كلّه على شيء فإنما يدلّ على التّسامح الدّيني في الأديان السّماوية الأخرى حتى كانت هي بدورها تتضمن مباديء التّسامح في أجلى صوره يبدو أحيانا فوق الطّاقة, كما لمسا في النّصوص السّالفة الذّكر.

التّسامح الدّيني في الإسلام

إنّ الإسلام قد أنشأ للمسلمين حضارة ممتازة فلم يضق ذرعا بالأديان المتواجدة الأخرى ولم يتعصّب دون الأراء والمذاهب المتعددّة وأثبت في دستوره الكريم أن الأديان السّماوية كلها تستقي من معين واحد وقال تعالى: {شرع لكم الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه}(سورة الشورى: 13). وقال أيضا في (سورة المائدة: 69) {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم

1- أثبت الإسلام من أجل التسامح الديني أن الأنبياء إخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة والإيمان وأن على المسلمين أن يؤمنوا بهم جميعا وقال تعالى: {قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون}. (سورةالبقرة:136)

وفي السورة نفسها يقول الله سبحانه وتعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير}. (سورة البقرة: 285)

2- رسّخ الإسلام تحت عنوان التّسامح أنه لا إكراه في الدين وأثبت أن العقيدة ينبغي أن يستقبلها القلب والعقل بشكل واضح جلي بدون الإكراه والإجبار وقال تعالى: {لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} سورة البقرة: 256). **قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بيّن واضح جلي في دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة."** [10]

وفي سورة يونس أيضا قال تعالى: {ولو شاء ربّك لأمن من في الأرض كلّهم جميعا أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين} (سورة يونس:99)

3- ورسخ الإسلام في قلوب المسلمين أنه لا ينبغي أن يؤدي اختلافهم في أديانهم إلى أن يقتل بعضهم بعضا أو يتعدي بعضهم على بعض وقال تعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصّابرين" (سورة الأنفال:46)

وهذه الآية الكريمة تؤكد مما كان قد توصل إليه الفلاسفة والحكماء وأثبته الواقع التاريخي من أن الإنسان مدني الطبع ولا تتحقق حياته ولا تكمل ذاته ولا يكتسب ما تصبو إليه قدراته إلا داخل وسط اجتماعي متشابك فيه الخير والشر وفيه الحب والبغض وفيه التجانس والتنافر كما تؤكد أن الغاية من اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل وتنوعهم إلى ثقافات ومدنيات إنما هو التعارف لا التناكر والتعايش لا التقاتل، والتعاون لا التطاحن، والتكامل لا التعارض، وبات واضحا أن أهمية التسامح في الإسلام تتمثل في كونه ضروريا ضرورة الوجود نفسه.

ونفهم في الآية نفسها أيضا أن الإسلام يقرّ الاختلاف ويقبل التنوّع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد من معطيات نفسية وعقلية ويقدر ما يختصّ به كل شعب وقبائل من مكونات ثقافيه في جميع أنواع التسامح الثلاثة: التسامح الدين والتسامح السياسي والتسامح الفكرى.[10]

وإضافة إلى ذلك فإنّ الإسلام يدعو إلى العفو والصفح عند المقدرة، وأنّ من يتسامح في حقه ويعفو، ويصفح عن المسيء إليه يكون نبيل الخلق، عظيمَ الشأن، متساميًا عن الدنايا؛ قال الله – سبحانه وتعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (فصلت: 34- 35)

صور من قواعد وأسس التسامح في الإسلام

إن التسامح الديني يتطلب الاحترام المتبادل ويقتضي التخلي عن الأساليب الإقصائية والتحلى بالممارسة الرائعة التي تؤكد للإنسان إنسانية رائعة، ويستلزم التقدير المشترك، ويدعو إلى أن تتعارف الشعوب لتتقارب ويفرض التعامل في نطاق دائرة تبادل المعارف والمنافع والمصالح المشتركة الفاعلة التي يعود مردودها بالخير على الجميع. ولأجل تحقيق هذه الغاية المقصودة وضع الإسلام قواعد وأسسا ينبني عليها التسامح الديني منها:

3- ورد أنه لما جاء مرة وفد نصارى نجران فأنزلهم في المسجد وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه وكانوا يصلّون في جانب منه والمسلمون يصلّون في جانب آخر ولما أرادوا أن يناقشوا الرّسول في الدّفاع عن دينهم استمع إليهم وجادلهم بكلّ رفق وأدب.[14]

4- استقبل الرّسول وفد نصارى الحبشة وأكرمهم بنفسه وقال ((كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسي))[15]

5- ومن أروع المثال لتسامح النبي صلّى الله عليه وسلم عطفه وبكاءه صلى الله عليه وسلم على موت ذلك الرجل المشرك مطعم بن عدي الذي قدم مساعدة للنبي صلى الله عليه وسلم وقدم له الخدمة الجليلة يوم دخل في حماه حينما عاد من الطائف فرثاه حسان بن الثابت بقوله.

فلو كان مجد مخلد اليوم واحد ** من الناس نحى مجده اليوم مطعما

أجرت رسول الله منه فاصبحوا ** عبادك ما لبّى محلّ وأحرمـــــا[16]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عنه يوم أسارى بدر: ((لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألني في هؤلاء النقباء لو هبتهم له))[17]

7- ومنها ما روى الحاكم وغيره عن زيد بن سعنة - وهو من أحبّ اليهود الذين أسلموا - أنه قال: ((لم يبقَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عَرَفته في وجه محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نظرت إليه - إلا اثنتين لم أخبرهما منه: هل يسبق حلمه جهله؟ ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت أتلطف له؛ لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعتُ منه تمرًا إلى أجلٍ فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيتُه، فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي، فوالله إنكم يا بني عبدالمطلب مطل، فقال عمر: أي عدوَّ الله، أتقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أسمع؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: ((أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن

الطّيّبات وطعام الّذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم}. (سورة المائدة:5)

5- وأرسخ الإسلام في قلوب المسلمين أنه لا عداوة بين المسلمين وبين غيرهم، لمجرد كونهم غير مسلمين وقال تعالى: {وقالت اليهود ليست النّصارى على شيء وقالت النّصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الّذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون}. (سورة البقرة:113)

تطبيقات على التّسامح الدّيني في الإسلام

وعلى تلكم القواعد والأسس قامت حضارة هذا الدّين الحنيف وشهدت الدّنيا لأوّل مرة دينا، ينشئ حضارة جذّابة وتسامحا دينيّا متميّزا عن غيره في الأديان السابقة في المعنى والمغزى فلا يتعصّب على غيره من الأديان ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي والمنزلة الاجتماعيّة وشرع التّسامح الدّيني الّذي كان واضع أساسه وتطبيقه هو ذلك الرّسول الأعظم محمد صلّى الله عليه وسلم[11] ونلمس هذا كلّه من حياته صلى الله عليه وسلم الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة نذكر على سبيل المثال:

1- إذا نظرنا ودققنا النظر في سماحة الإسلام في شخص النبي - صلوات الله وسلامه عليه - لوجدْناها تتجلى في أحسن صُوَرها حينما فتح مكة، فقال لأهلها الذين آذوه أشد الإيذاء: ((ما تظنون أني فاعل بكم؟)) قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال لهم صلّى الله عليه وسلّم: ((اذهبوا فأنتم طلقاء)) نِعْم السماحة، ونِعْم العفو عند المقدرة.[12]

2- لما هاجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة وفيها عدد كبير من اليهود, وكان أوّل من عمله الرّسول من شؤون الدّولة أن أقام بينه وبينهم ميثاقا، تحترم فيه عقائدهم وتلزم فيه الدّولة يدفع الأذى عنهم،[13] هكذا طبق الرسول الأعظم مبدأ التسامح الدّيني في البذور الأولى للحضارة الإسلامية؛

هذا؟ فالمطلوب من إنسان يعيش على وجه هذه البسيطة ممارسة هذا التسامح الديني ممارسة تنبثق من إنسان استلم سدة الحياة وعاش ليؤكد للناس إنسانيّة وإسلاميّة كما وضعه الله سبحانه وتعالى في الدّين الإسلامي.

وعلى هذا، فإنّ نيجيريا يتكوّن سكّانها الرّئيسية من مجموعات ثلاث من القبائل الّتي تمثّل أكثريّتها الساحقة وهي: القبيلة الهوسوية الفلانية في شمال نيجيريا، وتدين بالإسلام، وبقيتها إيبو في الجنوب الشرقي، وتدين بالمسيحية، واليوربا في الجنوب الغربي، وهي تتوزع بالتّساوي بين الإسلام والمسيحية.

وإذا تابعنا سير الدّعوة إلى تطبيق التسامح الديني بين هذه المجموعات فلا نكاد نقطع شوطا من أشواط النظر حتى نرى سلوك بعض هذه المجموعات اتجاه التسامح الديني سلبيا من عدم تطبيقها في شمال نيجيريا على أتم وجوه وترى بعضهم في تعايشهم وتعاملهم يظهرون العداوة والبغضاء لكل من ينتمي إلى الأديان غير دينهم مما يؤدي أحيانا إلى الحرب الحارة والقتال الشديد ويسبب في مجازرة مئات من البشر إضافة إلى تدمير المنازل والمساجد والكنائس والمراكب في بعض الولايات الشمالية ذات الأغلبية المسلمة أمثال بلاتو، بينوي، برو، نصراوى، وكنو، وأبرز مثال هو أعمال العنف الطائفية الدينية التي اندلعت من المسلمين والمسيحيين في كادونا سنة 2000 نتيجة خروج المسيحيين إلى الشوارع احتجاجا على احتمال تطبيق أحكام الشّريعة الإسلاميّة بالولاية، الّتي أدت إلى هجوم شديد وقتل مئات من الأبرياء.

وأمّا بالنّسبة إلى جنوب غرب نيجيريا نلمس في سلوك بعض أصحاب الأديان المختلفة في هذه الجهة نوعا من الغلو والتّطرّف حتى يكون من الصّعب بمكان أن تفرق بين المسلم وغيره وتجاوز التّسامح الدّيني لديهم الحدّ إلى اتّخاذ النّصارى واليهود أولياء ناسين قول الله سبحانه وتعالى حيث يقول: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (سورة المائدة: 51) ولعل السبب الوحيد لهذا الرابط الشديد يرجع إلى تدابير الأخوة الشّيقة في

تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر، فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا مكان ما رُعْتَه)). ففعل، فقلت: يا عمر، كل علامات النبوة قد عَرَفتها في وجه محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أُخبرهما فقد اختبرتهما، أشهدك أني قد رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد - صلى الله عليه وسلم نبيًّا".[18]

وعلى هدي الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في التّسامح الدّيني سار خلفاؤه من بعده وأصحابه الكرام ونرى الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه لما شكت إليه امرأة مسيحية من سكان مصر أن عمرو بن العاص قد أدخل دارها في المسجد كرها عنها فسأله عمر بن الخطاب فأخبره أنه لما ازداد عدد المسلمين وأصبح المسجد يضيق بهم وفي جواره دار هذه المرأة وعرض عليها ثمن دارها فلم ترض بذلك مما اضطره إلى هدم دارها وإدخالها في المسجد ووضع قيمة دارها في بيت المال تأخذه متى شاءت. ولكن الأمير العادل في عدله وتسامحه الديني لم يرض بذلك وأمر عمرا بن العاص أن يهدم البناء الجديد من المسجد ويعيد إلى المرأة المسيحية دارها كما كانت.[19]

هكذا كان عمر وأصحاب الرسول والتابعون لهم في الإسلام ونلمس هذا بوضوح في العهد الأموي والعباسي حيث كان الأطباء المسيحيين في العهدين المذكورين محل الرّعاية لدى الخلفاء وكان لهم الإشراف على مدارس الطّب في بغداد ودمشق زمنا طويلا كما كانت للشّعراء والأدباء مكانة مرموقه في ذلكم العهدين ونرى مكانة الاخطل في العهد الأموي مثلا وغيره من الشّعراء اليهوديين والمجوسيين والصّابيين وغيرهم.

ولقد اجمع المؤرخون الغربيون ممن يحترمون الحق على امتازية التسامح الديني الإسلامي واشادوا به, يقول المؤرّخ المعاصر (ولز) عن الإسلام: ((أنه ملىء بروح الرفق والسّماحة والأخوة)).[20]

كانت وما تزال تضطرب وتفسد سلامة أي مجتمع من المجتمعات لأن أعمال العنف والإرهاب يرتكبها النّاس بدافع مخالفة الأديان وتحريف الإيمان, وأصبح التطرف الديني أكثر خطورة في كل وقت وينتشر بكلّ سهولة خصوصا في عصر الإنترنت هذا.

فلذلك يجب أن تتمثل رغبة المثقفين المؤمنين خصوصا الأكاديميين في تطوير نظرية أكثر شمولا للتسامح الديني- لأنّ فكرة تعزيز التسامح الديني ستكون مفتاح التوصل إلى نتائج سلميّة وستكون منطلقا فعليّا لمحاصرة التطرف الديني لو قدّمت مقربات حدّية لتطويرها - كما يجب أن ينتبه المسلمون الغيورون على دينهم إلى إصدار القرار بوضع حدّ للعنف الطائفي الدّيني وإقامة الدعوة الإسلامية إلى تطبيق التّسامح الدّيني حسبما وضعه الله سبحانه وتعالى في ديننا الحنيف بدون تقصير ولا تبطير ولا تعطيل حتّى يكون المجتمع النيجيري في أتمّ الأمن والسّلامة والسّعادة.

ربنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار، سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

الموامش والمراجع

1 - الإمام أبو داود السحستاني, **سنن أبي داود**, دار إحيء التراث العربي, الجزء الثامن, ص: 304.

2-جلال الدين السيوطي, **جامع المسانيد والمراسيل**, دار الفكر 1994' الجزء الثالث, ص: 199.

3- إبن منظور, **لسان العرب**, دار الحديث القاهرة 1997 المجلد الثاني, ص:489.

وانظر: **المنجد في اللغة والأعلام**,دار المشرق بيروت 1984, الطبعة السابع والعشرون ص: 349.

4- نظيرة إسماعيل كريم، **التسامح الديني**، بحث تم تقديمه في المؤتمر السنوي الأول للتسامح الذي عقدت تجمع المجتمع المدني العراقي في بغداد يوم الخميس2006/11/16 برعاية

أعضاء الأسرة الواحدة بالأديان المتفرقة وترى الأخوين الشقيقين ينتمي هذا إلى هذا الدين وذاك إلى ذاك الدّين، كأن الأديان عندهم كلها واحدة مما يؤدي بعضهم إلى أن يجمع بين الأديان المختلفة وتراه يوما في المسجد مع المسلمين كما تراه يوما آخر في الكنيسة مع المسيحيين وترى من هو ينتمي إلى الإسلام يشترك مع المشركين في معتقداتهم، فسبحان الله عما يشركون! إن التسامح لم يعن المداهنة في الدين وفي مقدساته أفبهذا الحديث أنتم مدهنون؟ صدق الله العظيم.

فالإسلام مهما وضع مباديء التسامح الديني ودعا إلى تطبيقه فإنه يحذّر المسلمين تحذيرا شديدا وينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا} (سورة النساء:144). وفي آل عمران قال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرون أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذ لكم الله نفسه وإلى الله المصير}. (سورة آل عمران:28)

هكذا نهى الله المسلمين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين بل توعد على ذلك كما لمسنا في تلكم الآيات السابقة، لأن تحسين صورة الإسلام في أذهان النّاس وإبراز محاسنه لا يكون إلا بالتمسّك به والتّأدب بآدابه والدعوة إليه ولايكون أبدا بانتقاصه واجترائه والتخلّى عن شيئ منه قربانا إلى الكافرين ومولاتهم دون المؤمنين.

الخاتمة والتوصيات

لقد اتضح لنا من خلال ما سبق- جليّا- أن التسامح الديني يعتبر من أبرز مفهوم وجيه في الإسلام ذلك لأن الخلافة في الاعتقادات الدينية هي المسؤولة أحيانا عن حروب شديدة وفظائع التي لا تعد ولا تحصى خصوصا في البلدان ذات التعددية الدينية مثل هذه البلاد، ونظرا إلى ما نشاهده ونواجهه بنيجيريا اليوم من حركات (بوكوحرام) الدّموية وغيرها من

5- المرجع نفسه.

6 – الإنجيل, New international version 1979, Matthew chapter:5 v:39.

7-نفس المرجع Chapter 5 v:44

8- نفس المراجع Chapter 18 v:15

9- البخاري, **صحيح البخري**, دار إحياء التراث العربي بدون التاريخ, الجزء السادس, ص:405.

10- الحافظ ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**,دار اليقين للنشر والتوزيع-مصر 2002' الجلد الأول ص:385.

11- التسامح هو خلق أو صفة من الصفات التي يتمتع بها نبينا محمد عليه أفضل الصلوات حتى قبل نزول الوحي فالتسامح يعني العفو واللين وعدم القسوة.

12- صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم**, مكتبة دار الفيجاء للط ص:للطباعة والنشر, دمشق 1994,ص:405.

13-المرجع السابق ص:192.

14-المرجع السابق ص: 450.

15- المرجع السابق ص: 448.

16-ابن كثير, **البداية والنهاية**, دار الفجر للتراث القاهرة 2003, الطبعة الأولى المجلد الثاني ص:155-.156

17-الجع نفسه.

18- رواه الحاكم في **المستدرك**, دار المعرفة- بيروت, ص604-605, وانظر ابن **ماجه**, كتاب الصفات, باب

لصاحب الحق سلطان, المكتبة العلمية ببيروت, الجزء الثاني ص810.

19-مصطفى السباعي (الدكتور), من روائع حضارتنا الإسلامية التسامح الديني, مقالة أصدرت 2009